

## فرنسا : من پير ايمانويل

ذلك بانني اشعر سلفا ان حدود هذا المقال ضيقة جداً . على انه خلاصة لعدد كبير من النزعات ، من الكتب المقروءة ، من السهرات المفقودة او المكتسبة في المسرح . كنت اود لو تطفو ذكري واحدة من تلك الذكريات لتفرض نفسها هنا . لكن لا تستوقفي اي ذكري ، في الحقيقة ، اللهم ولا ذكري ذات علاقة بثقافتنا . لكن ثمة صورة مضطربة ، هاربة : صورة المعرض الذي اقيم في متحف الفن الحديث في كانون الاول ( ديسمبر ) ، وضم رسوما لفراندا موزز . وفراندا ما موز هي تلك الامريكية البالغة المائة من العمر ، التي رسمت ، وهي جالسة الى نافذتها ، صور مرآقتها في القرية التي لم تبحر قط . رسوما ساذجة وماهرة في وقت واحد ، ترى فيها ما تراه في اوراق اشجار الحريف كما يعرف ان يراها ، في النادر ، بعض الفنانين . في الخارج ، على سطحة المتحف ، عجوزياتي كل يوم احد ومعه جهاز الحاكي واسطوانات لموسيقى راقصة ، ويأخذ في الرقص على انغامها ، وعلى هواه . وينظر اليه الكثيرون ، شبانا وشيوخا ، ولا ريب انهم يتأسفون على كونهم لا يستطيعون مجاراته . وهناك معرض آخر اجتذب اليه الجمهور ، اقيم في المتحف نفسه : انه معرض لو كوربوزيه . ولو كوربوزيه رجل متعدد الصفات : فهو مهندس ، ومهندس مدن . ورسام ، ونحات ، ونجار ابنوس ، وغير ذلك ايضاً . ويمثل معرضه - وهو تعليمي - مدن المستقبل كما لو اننا نعيش فيها الآن . وقد ارفق الرسام بلوحاته شروحا وتفسيرات . ولو كوربوزيه يريد سعادتنا

تمر الاشهر الثلاثة في باريس مرورا سريعا ، وعندما يحسب الباريسي حساب ما قرأ ، وما رأى ، وما فعل ، يدهشه ان يكون الحصاد بهذه الضآلة . لكنه رغم هذا ، نراه يعرف كل شيء ، وباستطاعته ان يتحدث في كل شيء : ذلك بأن الصحف الباريسية تأتي بين افضل صحف العالم . والرجل « المثقف » هو الرجل الذي يعرف جريدته معرفة جيدة ، ويعرف ما تسوقه اليه جريدته . وفي اي محفل وجدت ، لن تشعر بأنك غريب ، اذا كانت معك جريدتك اليومية واحدى المجلات الاسبوعية الدارجة ، فبفضلها يصبح في امكانك ان تبني هذه السمعة وتحطم تلك ، ويصبح في امكانك ان تحسم في الآراء وفي الناس . ولست بحاجة الى ان تكون قد طالعت الكتاب الذي يتكلم عنه جارك - وربما يكون هو قد قرأه - حتى تفرض على هذا الجار حكما لم يحسن هو نفسه اطلاقه ولا تكوينه .

لنتفام : الناس الذين اتحدث عنهم هم « مثقفون » ، ابناء الحوادث والاحداث الراهنة التي لا يمكنهم العيش بدونها . انهم يتمايشون بين بعضهم البعض في باريس ؛ لكلماتهم اصداه تتردد في ما بينهم ، فظلم الباريسيين الاخرين لا يعلمون شيئا ، في الواقع ، مما يحدث في مدينتهم : الغرباء هم ، عادة ، اكثر اطلاعا ؛ ويلدني ان افكر ان بعضنا من قرائي سيحكم عليّ ، من قراءة هذا المقال ، بأنني اقليمي ، قروي ، منزول .

## رسائل ثقافية : فرنسا ١٠٣

تنظف : ان « زنجارها » يذكرنا بان عمرها ثمانية قرون ، سيحتفل هذا العام بمرورها .

لا شيء مهم في المسرح ، باستثناء المسرحية الثانية لرولان دوبيار واسمها « بيت العظام » . كانت مسرحيته الاولى « السنونات الساذجة » محاولة من ضمن الخط الميتافيزيقي للمسرح المعاصر ، غايتها اظهار مدى ما هي عليه من تفاهة ، علاقات التبادل بين الكائنات ؛ ومنذ خمسة عشر عاماً ، بعد يونسكو ، ونحن تصادف هذا الشعور بالتفاهة بين العلاقات . لكنه شعور اكثر تميزاً في « بيت العظام » : فالمقصود هنا هو البرهنة على ان ثمة حوارا موجودا في الانسان الفرد ، حوارا متوصلا وغير قابل للاكتفاء ، بين الخارج والداخل بل يكاد يكون بين الجسد والروح . عيب المسرحية - اذا صح انه عيب - كونها ثابتة ، وليست الا التكبير المتلاطم ، المعقد ، لحياتنا النباتية والمنكثثة داخل الوجدان . اما موضوعها فبعضنا اياه دوبيار في حديث صحفي ادل به : « هناك بيت صاحبه ذو ثروة طائلة ، يقيم فيه وحده ، وهو طاعن في السن ، وقد اخذ يموت ، وهناك الاشخاص الذين تربطهم علاقة بهذا البيت : اشخاص الخارج ، واشخاص الداخل . ان موت المعجوز يعني لكل منهم شيئا . وفي ما بينهم جميعا علاقات تمر كلها من موت المعجوز » . ذلك هو الموضوع الذي ينبغي تحويله من لغة المسرح الى لغة الموسيقى : ان عددا لا يحصى من التنوعات تنبثق من الموضوع وتعود اليه ، بحيث ان المسرحية لا تبدأ ، في الحقيقة ، ولا تنتهي .

انصح ، لمن يرغب التخفف من هذا المسرح الثقافي الذهني ، بمسرحية « رقصة الفالس الكبيرة » لروبير دارى . ودارى هو صاحب مسرحيات استعراضية معروفة كثيرة ، وهي للمسرح ماكانته

ولو بالرغم منا ، نحن الذين لا ندرك بعد مقاييس هذه السمادة . اما هو ، فانه يحدد هذه المقاييس وكأنه راه يرى وراء الغيب ما سيكونه القرن الحادي والعشرون - القرن الذي سيضطر فيه ٦ او ٧ مليارات نسمة الى العيش في بيوت متلاصقة . المشكلة التي يعالجها لو كوربوزيه هي توفير المكان لسكان المستقبل - هذا المكان الذي ينقصهم اليوم . والحل في نظره هو اعادة « الاخضر » الى قلب المدن . وهذا الحل ، الذي يجمن مكان السكن ويشخصن المنظر ، هو حل بارع ، لا شك انه يجذب الشبان اليه . لكن رسوم لو كوربوزيه ليست ، مع الاسف ، كثيرة بحيث يمكن الحكم اذا كان مشروعه واقميا او خياليا . ان لبعض اشكاله الجمال البسيط الذي لاشكال لودو ، وهو مهندس عبقرى آخر من القرن الثامن عشر ، يكاد لا يبقى منه شيء الى اليوم .

بين المعجبين بلو كوربوزيه نجد اندريه مالرو ، المنشغل هو ايضا انشغالا كبيرا بالهندسة ، ويبدو كذلك انه عهد الى لو كوربوزيه بمهمة تحقيق ابنية السفارة الفرنسية في برازيليا . لكن لو كوربوزيه لن يقبل بالمهمة الا اذا اعطي الحرية الكاملة في العمل : وانه ليسرنا ان نستطيع ، في مدينة هي نفسها اعجوبة من اعاجيب الاختراع الهندسي ، ان يقوم بعمل كبير من مستوى احلامه .

وبانتظار ذلك ، تقوم باريس بتنظيف بناياتها القديمة . ان مسرح الاديون ، وقصر مازاران ، لون الملل واكاد اقول طعمه : وقد رؤي ان هذا اللون مائع بالنسبة لـ « انفاليد » بعدما عني كثيرا بتنظيفها . لقد اجريت حتى الآن تجارب عديدة - لم ينجح شيء منها بعد - لايجاد لون رمادي يناسب وحده الواجهة الكبرى ويناسب لون السماء الباريسية . اما كنيسة نوتردام فلن

والبيدع، الذي لم يصادف أي نجاح. لقد استخرج بريسون حوارته من دقائق محاكمة جان دارك، واختار للمب دور جان دارك ممثلة مجهولة، شأنه دائماً. والفيلم غاية في التواضع والاكتفاء، ولعله أكثر في ذلك من فيلم دراير. لقد نجح بريسون في تحقيق هدفه، وهو إعطاؤنا فكرة على عظمة جان دارك الحارقة، وعن بساطتها، وعن نبيلها، وعن قداستها. إنها، كما يقول بريسون ذاته، «فتاة خلقت لتترك وراءها أثراً، وأثرها لا يمحي». والعلامة الكبرى لعظمة جان دارك بالنسبة لبريسون، هي في فشلها: وهنا نعتز على أحد الموضوعات المألوفة في أفلام بريسون.

الخريف هو فصل الجوائز الأدبية. ذهبت جائزة غونكور إلى رواية «حقاتب الرمل» لآنا لانغوس، وجائزة رونودو لسيمون جاكو مار، وجائزة فيمينا لايف برجي، وجائزة ميديسيس لكوليت اودري. وهناك كتاب ناشون نالوا جوائز أخرى ستعود عليهم بعدد كبير من القراء. روايتا «الجنوب» لايف برجي و«الحارس الليلي» لسيمون جاكومار روايتان صمبتان، يميزهما بعض الانحياز الاجلي في الكتابة، وكتنهما من نوع «المصيب الداخلي»، كتبهما مؤلفان يكشفهما أسلوبهما لنفسهما.

المكافآت الشرفية الكبرى لهذا العام هي جائزة الاداب الكبرى للاكاديمية الفرنسية وقد منحت لترك استان، والجائزة الكبرى للرواية لميشال مور، والجائزة الوطنية الكبرى للاداب نالها بيار جان جوف. وجوف عمره ٧٥ سنة، وهو واحد من اكبر شعراء فرنسا الاحياء - احد الذين مارسوا التأثير الاكبر في التوجيه الحالي للشعر. انه بلاضافة الى استعماله التحليل النفسي في البحث عن رمزية تكون لغة حقيقية للعقل الباطن، احد

افلام الاخوان ماركس للسينما. كل واحدة من مسرحياته مشهد كامل، يستعير عناصره من المسرح و«الميم» والميوزيك هول. وكل واحدة من مسرحياته حلم منظم، موجه نحو الضحك، الضحك الذي يفيض على مزيد من الاحلام. اما «رقصة الفالس الكبيرة» فهي حقبة منتفخة ينبغي المشول بها، في مطار اورلي، لفحص الجمرك. والجركي هو لويس ده فونيس. ومن هذه الحقيقة يخرج العديد من المشاهد الحرقاء، بل تخرج قلعة كاملة، ومعها ستة فرسان مدججين بالاسلحة. وهذه المسرحية مناسبة للاجانب الذين لا يعرفون كلمة من الفرنسية: فالممثلون لا يلفظون اكثر من خمس عشرة كلمة طيلة العرض، لكنهم يتحركون كثيراً ويستعملون لغة اقوى تعبيراً من الالفاظ. ان لويس ده فونيس يظهر في هذه المسرحية راقصاً ومقلداً وكوميدياً، واحداً من اغرب الشخصيات المسرحية.

حدث آخر بارز: عاد ايف موتان الى باريس بعد تقييد اربع سنوات. عمره الآن ٤٢ سنة، ومنذ ربع قرن وهو يغني، لكنه لم يهرم. الم ينشد قائلاً ان «الغناء والرقص ليسا للاشخاص السريعي المطب»؟ عندما يكون على المسرح يندمج كلياً في اغنيته. يقول: «اني احيا مائة بالمائة». وقبل ان يعود الى غزو باريس زار الارياف حيث غنى. لا شك انه بارع وموهوب، لكنه كذلك مؤمن بفنّه. كل واحدة من اغنياته مسرحية صغيرة، مسوحية حقيقية. وغالباً ما تلتزمها سنوات لتنتهي.

بالمقابل، لا شيء مهم في السينما: غير ان الجميع ينتظرون ظهور فيلم «جان دارك» لروبير بريسون، الذي توقف عن العمل السينمائي بعد فيلم «النشال»، ذلك الفيلم الغريب المدهش

## رسائل ثقافية - فرنسا ١٠٥

يفرضونها في الماضي تحت ستار الشعر الاجتماعي ، ومن شعر فونزنسكي يمكن القول ان مواضيع الحب ، والتفنن المزاجي ، والصياغة الكلامية في الشعر ، تلاقى نجاحا كبيرا ، لكننا ما تزال بعيدين عن الشعر الميتافيزيقي . لا ريب انه سيتغير شيء جذري عندما يتاح للشعراء في الاتحاد السوفياتي مجال التفكير . لكن لنصف رغم هذا ، ان ١٥٠٠ شخص ( بينهم كثيرون من الروس المقيمين في باريس ) كانوا يزدحجون قبل ايام لسماح فونزنسكي يتلو قصائده في مسرح فيوكولومبيه الذي لا يستوعب الا ٥٠٠ مقعد .

كلمة اخيرة : اذا كنت ممن يملكون بباريس ذات ابتسامة الجوكوندا ، فان الجوكوندا لم تعد هنا ، وكان متحف اللوفر بات ، بعدها ، قفرا يبابا . لقد اوشك رحيل اللوحة الشهيرة ان يحرف النقاد وهواة الفن في تظاهرة . اما انا شخصيا ، فلست بأسف على اللوحة ، خاصة واني اجد الابتسامة الغامضة نفسها على شفتي « باخوس » و « مار يوحنا » لليونار ، وهما معروضتان في المعرض الكبير في اللوفر .

اجل الناثرين في اللغة الفرنسية ، ونجري الان اعادة طبع مؤلفاته الروائية . واني انصح الذين لا يعرفونه بمد بقراءة مجموعته الشعرية « عرق الدم » وروايته « بولينا » ودراسته « دون جوان موزار » .

اذا قرأنا مجلات هذا الاسبوع ، رأينا ان الحدث الباريسي الكبير هو وصول عدد كبير من الكتاب السوفياتيين : وهم الروائيان بوستوفسكي ونيكراسوف مؤلف رواية « خنادق ستالينغراد » ، والشاعر اندريا فونزنسكي ، وقد جرى تنظيم بارع لزيارة الاخير ، كما جرى لصديقه وغريمه ايفتيشنكو في عواصم اخرى ( وينتظر وصول ايفتيشنكو الى باريس بين يوم وآخر ) . لقد استجوبت صحافة باريس الشاعر والتقطت له الصور . انه شاب لطيف ، يشبه ابطال « بؤساء » هوغو المشهورين بساحم وشجاعتهم ، كما يشبه مغنيا من مغني الميوزيك هول . لقد سئل كيف حال الشعر في الاتحاد السوفياتي ، فكان جوابه ان شعر الشباب امثاله في حال جيدة ، وانهم لم يعمدوا مجبرين على عمل القصصات التي كانوا